

الإلاح المتنامى حول تطبيق مفهوم التعليم المستمر أو (التعلم مدى الحياة) أو (المجتمع المتعلم والمعلم) في حقل من حقول الساحة التعليمية، إن هو إلا استمرار للمقولة التراثية (التعليم من المهد إلى اللحد). والواقع أن عملية اكتساب الإنسان للمعرفة والخبرات والمهارات بشئون العمل والحياة لا تقتصر على المرحلة الزمنية التي تجرى فيها سنن التعليم النظامي في مراحل التعليم بدءاً من رياض الأطفال حتى مؤسسات الجامعة والتعليم العالي أو ما بعدها من الدراسات العليا. لكن الفرد أو الجماعة، إنما تكتسب صنوفاً من التعليم والتعلم خلال مراحل الحياة بطولها وعرضها. ويحدث ذلك بعد هذه المرحلة العمرية فيما بين (٤-٢٤ سنة) بطريقة واعية أو غير واعية، مباشرة وغير مباشرة، وذلك بحكم مرونة العقل البشري في تكيفه وتكيفه، وتجاربه ومعاناته لما يدور ويضطرب حوله من المؤثرات والفواعل المجتمعية والحياتية.

وقد أدى تعقد الحياة في المجتمعات المعاصرة إلى السعى في تنظيم منهاج هذا التعليم "العرضي" لكي يكتسبه الإنسان خلال حياته في مؤسسات منظمة، وذلك في سباق ما يعرف باسم (تعليم الكبار).

من بين العوامل والتيارات التي استحثت الإلاح على ذلك التنظيم منذ بداية القرن العشرين حتى اليوم عاملان رئيسيان: أولهما السعى نحو تأسيس وتعزيز نمط الحياة الديمقراطي كنهج سياسى اقتصادى اجتماعى في إدارة شئون الحكم والمجتمع. وفي القلب من هذا النهج تمكين المواطنين من المشاركة في التفكير والممارسة لاتخاذ القرار وترشيد المسار. ومن مطالب هذه تنمية المعرفة والوعي لدى

مجموع أفراد المجتمع بما هو قائم من مختلف أوضاع مجتمعهم، وبما ينشدونه من تطوير وفعل في حاضره ومستقبله. والتعليم النظامى المباشر فى مؤسسات التعليم، وفيما بعدها من التعليم خارجها، أى (غير النظامى) وسائل للتنمية المعرفية والدرايات المنشودة لصنع الحياة. ويأتى مفهوم (تعليم الكبار) ليواجه تأسيس (التعليم غير النظامى) الناجم عن مؤثرات المجتمع وموروثاته، وليضع له قواعد وأهدافاً ومؤسسات على أسس تربوية فنية لتملك الأفراد القدرات المنشودة على المشاركة الإيجابية.

وثانى تلك العوامل المجتمعية التى دفعت إلى الاهتمام الجاد بتنظيم تعليم الكبار، انطلاقة الثورة المعرفية والمعلوماتية والاتصالية منذ أوائل الثمانينيات من القرن الماضى، وما يزال فيضها وانتشار أثارها ينداح على عالم هذا الكوكب فى مختلف أجزائه، وبين مختلف الشرائح الاجتماعية بدرجات متفاوتة. وقد كان لتوظيف هذا الفيض المعلوماتى والاتصالى لمن يملكون مفاتيحه وأسواره أثار إيجابية محدودة، وسلبية طاغية، من قبل ضغوط أقطاب الهيمنة الغربية على الدول والشعوب النامية. واقتضى الأمر استشارة مشاعر اليقظة عالمياً ومحلياً لما تحمله من وعد هش ووعد خائن للثقافات المحلية الوطنية؛ ومن ثم الالتفات إلى تلك المؤثرات العولمية الجديدة والمتجددة سواء فى التعليم النظامى أوفى تعليم الكبار من أجل معرفتها والوعى بها ومواجهة تحدياتها ومقاصد هيمنتها. وهكذا تنامى السعى إلى التوسع فى مجال تعليم الكبار، ودخلت موضوعاته إلى ساحة التعليم الجامعى/العالى، وإلى مؤسسات التدريب والتعليم بمختلف صورها ومسمياتها.

لم تعد القضية مرتبطة بمجرد (العرض) فى مؤسسات تعليم الكبار، بل أخذ (الطلب) يتزايد على ساحاتها وفصائياتها لتنمية قدرات الأفراد والجماعات فى تعليم المعرفة الجديدة والمتجددة، وعلى الآليات الإلكترونية المصاحبة لاكتسابها.

وفى نطاق الجامعات تأسست نظم التعليم المفتوح، والتعليم الإلكتروني،

والجامعات الافتراضية، أو التعليم عن بُعد. وأضيفت أقسام ومقررت عن تعليم الكبار في كليات التربية المعنية بإعداد المعلم.

هذا فضلاً عن تقديم الخدمات التعليمية لمن يرغبون في استكمال مراحل تعليمهم أو لتقديم برامج ثقافية في ضوء احتياجاتهم ورغباتهم. ولم يقتصر الأمر على توفير مجالات وأشكال متنوعة من التعليم والتدريب والتثقيف العام؛ بل امتدت لتشمل إجراء البحوث والدراسات العلمية حتى درجة الدكتوراه في مجالات تعليم الكبار. لقد أردت في هذه العجالة رسم الإطار العام لمجال تعليم الكبار والتركيز على أهميته ودوره التربوي والحياتي في منظومات التعليم المعاصر في مختلف أقطار العالم، بما في ذلك الأقطار العربية. ويمثل هذا الكتاب الذى نسعد بالتقديم له جهداً علمياً من جهود البحث العلمى فى نطاق تعليم الكبار، والذى تقدمت به د. دينا حسن عبد الشافى لنيل درجة الدكتوراة، ولتشغل وظيفة المدرس بقسم تعليم الكبار بمعهد الدراسات التربوية/ جامعة القاهرة. وقد تم تكييف الرسالة من أجل النشر لتستوى فى هذا الكتاب بعنوان (إطارات تعليم الكبار: رؤية مستقبلية).

وقد تضمنت الدراسة معالجة جوانب تعليم الكبار ومجالاته فى كل مواقعه التى تشمل قضايا محو الأمية والمتسربين من التعليم الأساسى، ومستوياتها وعلى المستوى الجامعى، وغيره من المستويات والموضوعات كتعليم المرأة ودور المجتمع المدنى. هذا فضلاً عن استعراض مفيد للتوجهات والخبرات العالمية فى تعليم الكبار. ومن خلال هذه الأطر العامة فى هذه المجالات المصرية والعربية والعالمية ونتائج مختلف المؤتمرات المحلية والدولية قامت الباحثة بالتركيز على توجهات البحث التربوى فى كليات التربية بالجامعات المصرية.

ولذلك جَهدتُ في حصر جميع الرسائل العلمية التى تم إعدادها في تلك الكليات على مستوى الماجستير والدكتوراه، مما هو متاح في مكتبات الجامعات المصرية، وفي مختلف أبعاد ومقاصد ومضامين ومؤسسات تعليم الكبار. والعليم بتنظيم مكتبتنا يدرك نوع المعاناة التى اقتضتها في حصر البحوث العلمية ورسائل في مجالات تعليم الكبار. وبجهداها الدؤوب تمكنت الباحثة من جمع شتات الرصيد المتوافر الذى وصل إلى عدد (٣٠٦) من تلك الرسائل، وقامت بتنظيمه فيما يُعرف فنياً لدى المشتغلين بعلوم المكتبات وقواعد البيانات باسم القائمة الببليوجرافية التى ترصد كل الرسائل والأبحاث والمراجع المتاحة في موضوع معين، وهى غير قائمة المراجع التى يعتمد عليها الباحث فعلاً من بين مصادر القائمة الببليوجرافية. ومن ثم ينبغى للباحث أن يميز بينهما في بحوثه، حيث عادة ما تختلط القائمة الثانية بالقائمة الأولى.

وفي ملحق القائمة الببليوجرافية يرد أسماء المؤلفين حسب الحروف الهجائية وعنوان البحث، ونوع الرسالة، والجامعة، والكلية والقسم والتاريخ الذى صدرت عنها. وتكاد تكون جميع تلك الرسائل غير منشورة، مما يمثل عقماً كثيراً من الرسائل الجامعية التى لا تغادر رفوفها ولا يستفيد المسؤولون وغيرهم من نتائجها، وتمتد تلك القائمة على الأفق الزمنى من الستينات حتى عام ٢٠٠١، ومصنفة حسب الجانب الذى عاجلته موضوعاتها بدءاً من مجالات محو الأمية ومؤسساتها الأخرى والتي أطلقت عليه (رءوس الموضوعات الرئيسية) مثل تعليم الكبار والتعليم الأساسى، والجامعة، ومحو الأمية، والمرأة، والمعلم والمناهج والمؤسسات. ومن جداول الملحق (كشاف) بأسماء الباحثين، وكشاف آخر بعناوين الرسائل.

ولا يفوتنا أن نشير إلى الجداول التجميعية والتصنيف للرسائل في سياق نص الرسائل والتي تحدد مجموع الرسائل على أساس المناهج البحثية المستخدمة فيها كالمنهج الوصفى أو التجريبي أو التاريخي أو المقارن أو اختبارات ومقاييس.

ومما يستحق الالتفات أيضاً أن الباحثة قد التزمت بالأصول المتبعة في علم المكتبات والمعلوماتية في التصنيف والتجميع وإحالة تصنيف محدد إلى تصنيف أوسع أو تصنيف بحسب اسم المؤلف وآخر باسم الباحث ليتمكن الرجوع إلى أى منهما للوصول إلى ما ينشده منها.

* * *

والواقع أن ما رسمته الباحثة من معالم الخريطة البحثية وتضاريسها الحالية يدل على قدرة فائقة في بذل أقصى الجهد للقيام بما أودعته من قضايا في هذا الكتاب، ومن القدرة على التصنيف والتنظيم لمفردات المعلومات التي حصلت عليها. ولم نتوقف عند رصد المعطيات الحالية، بل سعت إلى إيجاد تصور لخريطة بحثية تعين الباحثين في المستقبل على معرفة آراء المتخصصين في أنواع البحوث ذات الأولوية من وجهة نظرهم والتي يستحق بحثها. وقد اصطنعت في استخراج ذلك أسلوب السيناريوهات لتحديد ما يمكن أن يحتل أولوية أفضل، أو الأولويات الأفضل من بين مختلف مجالات البحث في تعليم الكبار. هذا فضلاً عن أن حصر الرصيد الحالي من هذه البحوث سوف يُحوّل دون التكرار أو الاجترار لبحوث سابقة.

* * *

وأحسب أن هذا الكتاب الذي يؤسس لقاعدة معلومات في مجال هام من المجالات التربوية، جدير بالإضافة والتحديث بين الحين والآخر، إلى جانب ما يمكن التركيز عليه من الدراسات المستقبلية. ولعله يكون نموذجاً يقتدى في إرساء قاعدة للمعلومات في كل مجال من مجالات فروع العلوم والفنون التربوية في مختلف الأقطار العربية.

* * *

تحية وتمنئة للدكتورة دينا على ما أنجزت والتي كان لوالدها الجليل المغفور له
أ.د. حسن عبد الشافي فضل مقدّر ومشكور في بداية التفكير لانطلاق سلسلة (آفاق
تربوية متجددة) مع الأخ الفاضل الأستاذ محمد رشاد الذي أتاح للدراسات
التربوية، إيماناً بقيمتها وجدواها، مساحة واسعة ضمن إصدارات داره للنشر (الدار
المصرية اللبنانية).

مقدمة

القارئ الكريم:

المؤلف الذى بين أيدينا هو محاولة جادة على المستوى النظرى تقوم بها واحدة من بنات مصر البارّات، اللائى يسعين إلى تطوير ذواتهن بتطوير مجالات أعمالهن، ومحاولات صقل طاقاتهن الإبداعية بالعمل الدؤوب، الحريص، والمخلص لله وللوطن.

استمرت رحلة كاتب هذه السطور مشرفاً على إصدار هذا العمل قرابة الأعوام الثلاثة رأى خلالها عن كثب المشقة الميدانية التى اعترت الباحثة لجمع مادتها واستشعر قدر ما ضحت به هى ومن يحيطون بها فى سبيل إنجاز أطروحة متميزة يفيد منها كل مهتم، وكل خبير.

ويتناول الفصل الأول من هذا المؤلف البحث التربوى فى تعليم الكبار، حيث تم استعراض لمفهوم "البحث" وخاصة "البحث التربوى" وأنواعه ومبادئ ممارسته، ثم مفهوم "تعليم الكبار"، مع الاهتمام بالبحث التربوى فى تعليم الكبار من حيث متطلباته وأهدافه ومناهجه ومشكلاته، ثم عرض الفصل للدراسات التى تناولت هذا الموضوع، والتى اتضح من خلالها أن الإنتاج الفكرى فى هذا المجال يعانى من عدد من المشكلات مثل: الذاتية فى اختيار موضوع البحث، وتكراره والفجوة بين نتائج البحوث واتخاذ القرار، مما أدى إلى ضعف تأصيل المجال وما تتم من ممارسات به، لذا فإن هذا المؤلف يهدف إلى تعرف توجهات البحث التربوى فى مجال تعليم الكبار، بالإضافة إلى التوجهات العالمية، ومن خلالها يتم تصميم خريطة بحثية مستقبلية.

أما الفصل الثانى فيعرض توجهات البحث التربوى فى مجال تعليم الكبار بمصر، من خلال حصر وتحليل لـ ٢٧٨ رسالة جامعية نوقشت فى الجامعات المصرية منذ إنشاء كلية التربية بجامعة عين شمس وحتى عام ٢٠٠١، تم تقسيمها إلى ثمانية موضوعات رئيسية وعدد من الموضوعات الفرعية، وانتهى هذا الفصل إلى عدد من النتائج تمثل أهمها فى: أن أكثر الأقسام إسهاما فى المجال هو قسم أصول التربية يليه المناهج، ثم علم النفس، وكانت أكثر المناهج البحثية المستخدمة هى المنهج الوصفى، ثم التاريخى، فالمقارن فالتجريبى، واتضح أن هناك عددًا من الموضوعات تمت دراستها أكثر من غيرها، فبالإضافة إلى الفجوة ما بين البحث والتطبيق فقد ثبت عدم ملائمة مناهج محو الأمية لتغطية حاجات الدارسين، وبالرغم من ذلك لم يتم الاستفادة من نتائج تلك الرسائل والبحوث فى بناء مناهج جديدة للأمين.

ويتضح من الفصل الثالث التوجهات العالمية فى مجال تعليم الكبار وأن هناك عددًا من العوامل تحكم حركة تعليم الكبار مثل العولة وإرهاصات التى تؤكد على ضرورة التعليم الذى لا يقف عند حد التعليم النظامى وإنما يستمر مدى الحياة للجميع، وهذا ما أكدت عليه المؤتمرات الدولية والإقليمية والمحلية، مثل مؤتمرات التعليم للجميع، بالإضافة إلى التقدم التكنولوجى واستخدام التقانات الحديثة فى التعليم مما أدى إلى إتاحتها فى كل مكان وزمان وفوق رغبة المتعلم، فظهرت عدة صيغ من التعلم من بعد مثل التعلم الإلكتروني والتعلم الافتراضى، وقد لوحظ أن عددًا من هذه الموضوعات لم يتم التطرق إليها فى الرسائل العلمية، مع أنها تمثل توجهًا عالميًا للمجال.

لذا فإن هذا المؤلف اهتم فى فصله الرابع بوضع رؤية مستقبلية للمجال، من خلال تصميم ثلاثة مشاهد (سيناريوهات) بحثية مستقبلية، تمثل السيناريو الأول فى استمرار الوضع الحالى دون تغيير، أما السيناريو الثانى فكان الوسط وهو يعبر عن تطوير الوضع الحالى بما ييسر الوصول للتقدم والذى هو السيناريو الثالث وهو

عبارة عن ثورة في الصياغات وفحص للمتغيرات بما يتسق والمستقبل المرغوب فيه ويهدف إلى جعل التعلم مدى الحياة مبدأ يتخذه المجتمع كى يستطيع مواكبة التغيرات والتغلب على التحديات.

وبعد أيها القارئ الكريم فيين يديك رسالة موجهة إليك، بل إلى الأمة العربية جمعاء تتضافر بمتنها ومقترحها مع ما تقدمه منظمات العمل العربى المهتمة من استراتيجيات وخطط لتلمس أبعادها وما فيها من رؤى لثمتين أركان واحد من أهم مجالات العمل والبحث التربوى فى "مجال تعليم الكبار".

وإذ كنا نشكر الكاتبة باحثة، مدققة، وواعية. فالشكر موصول إلى دار النشر المصرية اللبنانية التى تتبنى نشر مثل هذا العمل الذى نعدده قيميا. وإلى أستاذنا المعلم، ومعلمنا الأستاذ الدكتور/ حامد عمار راعى شباب الفكر التربوى.

والله من وراء القصد

أ. د. مصطفى عبد السميع محمد

أستاذ بجامعة القاهرة

مدير المركز القومى للبحوث التربوية والتنمية

استهلال

يمر العالم اليوم بحالة من التطور المتسارع للمعرفة وتكنولوجيا المعلومات، حتمت ضرورة مواكبة التعليم لهذا التطور بتوفير النظم المختلفة التى تتيح التعلّم مدى الحياة. ونتيجة لذلك فلم يعد الوقوف عند حد الدرجة الجامعية الأولى هو المعيار الوحيد فى تأهيل الفرد، وإنما عليه أن يتابع الجديد فى مجال تخصصه ويواكب التطورات المعرفية فى مجاله، وإذا كان هذا حال الفرد المتعلم فإن الأمّى تواجهه تحديات متزايدة فى هذا العصر الذى يموج بالعديد من التغيرات والتى لا تتوقف أو تنقطع فى كافة مجالات الحياة.

ومن هنا فإن الاهتمام بالتعلّم المستمر مدى الحياة وإتاحة فرصه لكل الفئات ومختلف المستويات دون التوقف أمام السن ونوع العمل والمستوى التعليمى يعتبر من الأمور الضرورية جدا والمطلوب الإقدام من أجل تحقيقها، وهذا لا يتأتى إلا بالاهتمام بمجال تعليم الكبار الذى يقدم برامج لكل من هم خارج التعليم النظامى، سواء أكانوا من الأميين الذين لم تتح لهم فرص التعليم، أم من المتعلمين الذين يحتاجون إلى تدريب على مهارات جديدة ومتجددة باستمرار، أى أنه يوفر البرامج التعليمية المختلفة المناسبة لاحتياجات الفئات المختلفة. ولأن الجامعة هى مصدر التعليم العالى ومن الجهات المحركة للبحوث العلمية فى مصر، نبع هدف هذه الدراسة- التى هى فى الأصل رسالة علمية قدمت للحصول على درجة

الدكتوراه - في حصر وتحليل ما تمت دراسته من رسائل الماجستير والدكتوراه في كليات التربية بالجامعات المصرية في مجال تعليم الكبار منذ أن بدأت كليات التربية في إخراج هذا النوع من البحوث وحتى عام ٢٠٠١، لتعرف الموضوعات التي تم تناولها، وبمعنى أكثر وضوحاً لتحديد ملامح الصورة الأساسية للبحث العلمي الجامعي في مجال تعليم الكبار في مصر، ومن خلاله يتم تعرف الأوجه الإيجابية والسلبية لهذا الإنتاج الفكري، وما تم إغفاله أو تكراره في محاولة لإلقاء الضوء على المجالات التي لم يتم تناولها، كذلك اقتراح حلول جديدة للمشكلات التي تم بحثها ولم تناسب نتائجها الواقع الحالي، إلا أن الاكتفاء بهذا يعنى إغفال التوجه العالمي والتطورات الحادثة به، لذا لزم التطرق للتوجهات العالمية في مجال تعليم الكبار والتي كان لها أثر في إحداث عدد من التغيرات في النظم التعليمية في البلاد المختلفة، وذلك خصوصاً منذ اهتمام المنظمات الدولية وخاصة التابعة للأمم المتحدة بمجال التعليم وعقد عدد من المؤتمرات عن حركة التعليم في العالم بأكمله، ومن خلال هاتين المرحلتين تم تصميم خريطة بحثية مستقبلية للرسائل الجامعية في محاولة لسد الثغرات وملاحقة التطورات العالمية.

وتعرض هذه الدراسة توثيقاً للرسائل العلمية في كليات التربية بالجامعات المصرية في القرن الماضي، بالإضافة إلى إنها تقدم التطورات التعليمية والمعرفية من منظور عالمي وإقليمي ومحلي لمجال تعليم الكبار، ومن هنا فإنني أرجو أن تكون هادية للباحثين الجدد بدلاً من القفز إلى المجهول، كذلك أن تمد جسور التواصل بين الباحثين في هذا المجال الرائع من مجالات التربية الذي يهدف إلى التعليم المستمر مدى الحياة.

والأمل أن يدفع هذا العمل الباحثين إلى استكمال الطريق في المجالات المختلفة، سواء أكانت في مجال التربية أم غيره، وذلك لتقدم توثيقاً للوضع الحالي، لتصبح لبنة لإقامة قاعدة بيانات علمية في مصر والوطن العربي، بدلاً من هذه الجهود العلمية المبثورة.

ولما كان هذا الكتاب فى الأساس رسالة علمية مقدمة للحصول على درجة الدكتوراه فى قسم تعليم الكبار بمعهد الدراسات التربوية بجامعة القاهرة، قد نوقشت فى يوليو ٢٠٠٦ فلا يسعنى إلا أن أتقدم إلى كل من أسهم فى تشكيل وعى الباحثة وتحديد معالم هذا البحث حتى خرج إلى النور، ولعل الفضل يرجع إلى الله أولاً وأخيراً، ثم إلى والدى - رحمه الله - الذى كان نعم الأستاذ الموجه ونعم الوالد، وإلى أساتذتى الأفاضل الذين أشرفوا على هذه الرسالة وهم: الأستاذ الدكتور/ مصطفى عبد السميع، الأستاذ الدكتور/ سمير حسنين بركات، والأستاذة الدكتورة/ نجوى يوسف جمال الدين، على ما أسدوه من مساعدة ومساندة وعطاء وتوجيهات كانت نعم العون الصادق فى إتمام الرسالة، كذلك أقدم الشكر والتقدير إلى الأستاذ الدكتور/ صلاح الدين جوهر، والأستاذ الدكتور/ إبراهيم محمد إبراهيم، على تفضلهم بالموافقة على مناقشة الرسالة وإبداء الرأى والنصح الذى أفادنى كثيراً.

وأخيراً الشكر إلى كل من قدم لى يد العون والمساعدة وجزى الله الجميع عنى خير الجزاء.

والله من وراء القصد وهو السميع العليم.

د. دينا حسن عبد الشافى

